بعث الله نبيه ﷺ وأمره بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، فآمن به بعض الناس وبقي أكثرهم على الكفر وصاروا يؤذونه وأصحابه.

فلما اشتد الأذى عليهم هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة وكانت هذه هي الهجرة الأولى.

وفي موسم الحج التقى النبي نفرًا من أهل يثرب فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم ازداد عددهم فبعث معهم بعض الصحابة ليعلموهم وليدعوهم إلى الإسلام، فلما كثر المسلمون بيثرب أمر الله تعالى المسلمين بالهجرة إليها.

ثم أمر الله رسوله بالهجرة، وأعد رسول الله خطة هو وأبو بكر الصّدّيق لنجاح الهجرة إلى المدينة.

تجمع المشركون حول دار الرسول، فأمره الله بالخروج، فخرج من بينهم وهم لا يشعرون، ثم انطلق إلى الصّدّيق، ومكث عنده إلى منتصف الليل، ثم سارا حتى وصلا غار ثور.

نام علي بن أبي طالب في فراش رسول الله ليوهم المشركين بأن الرسول لا زال بالبيت.

اكتشف القصاصون الطريق الذي سار فيه الرسول وصاحبه، وصعدوا الجبل الذي به غار ثور، لكن حمى الله نبيه ولم تقع عليه عين المشركين، ومكث الرسول في الغار ثلاثة أيام.

خرج الرسول وصاحبه من الغار ليلاً متخذين طريقًا وعرًا غير الطريق التي اعتاد الناس أن يسلكوها إلى المدينة.

ولما اقترب رسول الله من المدينة المنوّرة، فوجئ برجل اسمه بُرَيْدَة بن الحصيب زعيم قبيلة أسلم، قد خرج له في سبعين من قومه يريد الإمساك بالرسول، فعرض عليه الرسول –صلى الله عليه وسلم الإسلام فآمن بريدة وقبيلته في لحظةٍ واحدة.

وفي النهاية وصل رسول الله إلى المدينة المنوّرة سالمًا، وذلك في يوم ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة مهمة جدًا في الدعوة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة.

دروس من الهجرة

لا شك أن دروس الهجرة لا تُحصى ولا تُعَدُّ، ولكننا نشير هنا إلى بعض تلك الدروس، عسى الله أن ينفعنا بها:

أولاً: الأخذ بالأسباب

بذل رسول الله وصاحبه أبو بكر الصّدّيق كل ما في طاقتهما لإنجاح عملية الهجرة، وهذا هو الإعداد المطلوب من المؤمنين، أن يُعِدُّوا ما يستطيعون، وما فوق الاستطاعة ليس مطلوبًا منهم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ سورة الأنفال- الآية ٦٠.

ثانيًا: الاعتماد على الله

لم يعتمد الرسول على الأسباب وترك رب الأسباب، فالأسباب لا تأتي بنتائجها إلا إذا أراد الله، ولكن بعد أن بذل أسبابه كاملة تحلى بيقين عظيم في أنّ ما أرادِه الله سيكون، ظهر ذلك في كلمته الرائعة: "مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا".

ثالثًا: الأمل والثقة في النصر

لم يفقد رسول الله روح الأمل في أي لحظة، حتى في هذه الرحلة الخطرة، إذا به يبشر سراقة ليس فقط بظهور الإسلام على قريش أو على العرب، بل وبسقوط عرش كسرى تحت أقدام المسلمين، وأَخْذ كنوز كسرى غنيمة، "كَأَنِّي بِكَ يَا سُرَاقَةُ تَلْبَسُ سِوَارَيْ كِسْرَى".

رابعًا: حرص رسول الله على الصحبة

رأينا حرص رسول الله في كل مراحل حياته، وفي كل خطوات دعوته على مسألة الصحبة، عاش حياته في مكّة بصحبة، وخرج إلى الطائف بصحبة، وقابل الوفود بصحبة، وعقد البيعة التي بنيت عليها دولة الإسلام بصحبة، فهو يعلمنا أن نبحث دائمًا عن الصحبة الصالحة.

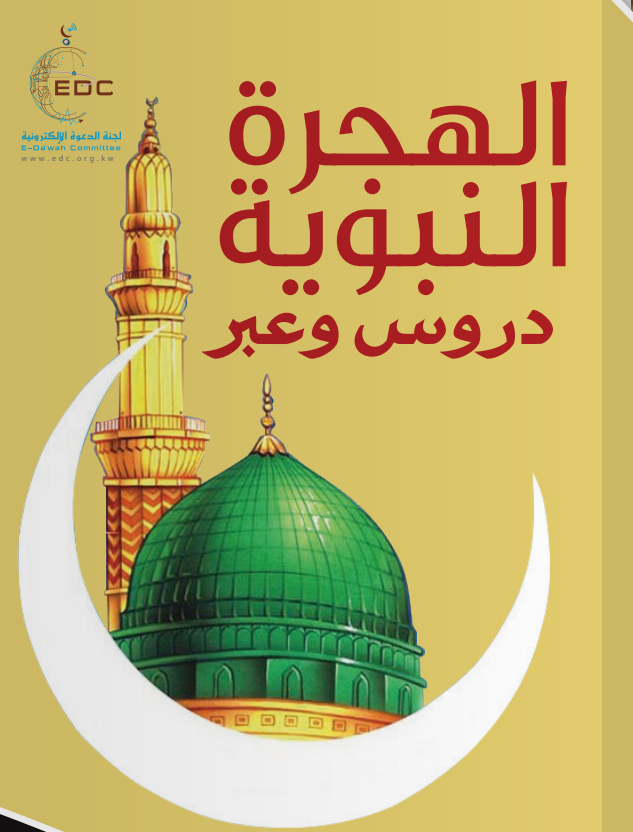

الهجرة النبوية
دروس وعبر

خامسًا: رسول الله.. القائد القدوة

تعلمنا من هذه الرحلة كيف أن القائد العظيم يعيش معاناة شعبه، يهاجر كما يهاجرون، يُطارد كما يُطَاردون، يتعب كما يتعبون، يحزن كما يحزنون، يعيش معهم حياتهم بكل ما فيها من آلام وتضحيات.

سادسًا: الدعوة في مكان وزمان

رأينا كيف أن رسول الله، لا يضيع فرصة، ولا يرتبط بظرف، يدعو كل من يستطيع، رأيناه كيف دعا إلى الإسلام بريدة وأصحابه من قبيلة أسلم ولم يكن همّه الرئيسي البحث عن وسيلة للهرب من بريدة، بل اعتبر أن الله قد ساق له الرجل وقومه هدية، فكيف يضيع فرصة كهذه؟!

المكتبة الإسلامية الإلكترونية الشاملة
The Comprehensive Muslim e-Library
www.muslim-library.com

سابعًا: استعداد الصّدّيق للعمل لله تحت أي ظرف

رأينا في هذه الرحلة استعداد الصّدّيق للعمل لله في كل زمان ومكان، فكان أهم شيء في حياة الصّدّيق هو أن يرضي الله ورسوله، ليس هناك في حياته مكان لكلمة (الظروف)، بل كان يعتذر لكل ظرف يطرأ على حياته بأن عنده ظرفًا أعظم، وهو العمل والبذل والتضحية والجهاد في سبيل الله .

ثامنًا: حب الصّدّيق لرسول الله

رأينا كيف يحب الصّدّيق رسول الله، وكيف لا ينتظر أمرًا ولا طلبًا، إنما يجتهد في إتقان حبّه لرسول الله، يجهز له راحلة، يبكي من الفرح لصحبته، ينظف له الغار، يسير أمامه وخلفه حماية له، وغير ذلك من المواقف التي ذكرنا بعضها ولم نذكر أكثرها.

تاسعًا: البذل والعطاء للدعوة

ظهر في هذه الرحلة بذل الصّدّيق وإنفاقه، بأخذ خمسة آلاف درهم، هي كل ما يمتلك لينفقها على دعوة الناس، وقبلها أنفق خمسة وثلاثين ألف درهم في سبيل الله، وحق لرجل له مثل هذه الصفة أن يرضيه الله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ❖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ❖ وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ❖ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ❖ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ سورة الليل- ١٧ : ٢١.

عاشرًا: جهد الداعية مع أهل بيته وعشيرته

بدا لنا كيف أن الصّدّيق أبو بكر استعمل عائلته كلها في سبيل الله. لقد نقل الصّدّيق حبّه لهذه الدعوة إلى عائلته وأهله، بعض الدعاة -للأسف- يعانون من مرض العزلة عن عائلاتهم، تجد لهم نشاطًا عظيمًا في خارج بيته، ثم هم لا يُشركون أقرب الأقربين إليهم في العمل لله.